المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد08/العدد 04، (2021**)، ص-ص *25*، 34**

علاقة الكاريكاتور بالضحك والنكتة

قراءة سوسيو اتصالية في ثالوث الخطاب المشفر

Relationship of caricature to laughter and joke
Socio-communicative reading in the trinity of encrypted discourse

بلحاج حسنية*

جامعة مُحَمَّد بن أحمد وهران 2 (الجزائر)، hasnia23@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/07/15 تاريخ القبول: 2021/10/26 تاريخ النشر: 2021/12/31

DOI. 10.53284/2120-008-004-002

ملخص: نسعى من خلال هذا الموضوع إلى إظهار العلاقة الموجودة بين الكاريكاتور، الضحك والنكتة من خلال قراءة سوسيو اتصالية في هذا الثالوث المتضمن خطابا مشفرا، لا يمكن أن يقف عنده إلا من يعرف كنه هذا الفن الذي حمل على عاتقه هموم الشعوب وسعى إلى طرحها في قالب ساخر، هزلي وهادف.يرتبط الكاريكاتور بواقع مرير ومسيرة خاضها على مدار عقود طويلة، ارتبطت في مجملها بما فرضته الأنظمة السياسية، فجبهة صراعه معها وفي مجابهة سياساتها التي يراها دائما من خلال رسوماته تضطهد الشعوب وتعمل على قهرها، فالكاريكاتور لا يهمه شيء سوى رسالته الناطقة باسم المجتمع، رغم كل ما يتعرض إليه من مضايقات، فهو يسعى إلى التطور في ظل ما فرضته التكنولوجيات الحديثة.

كلمات مفتاحية: الكاريكاتور.، الضحك.،النكتة.، المبالغة.، الخطاب المشفر.

Abstract:

Through this topic, we seek to show the relationship between caricature, laughter and joke through a socio-communicative reading in this trinity that includes an encrypted speech, only those who know the nature of this art that have taken upon themselves the concerns of peoples and sought to present them in a sarcastic form can stand, Comical and purposeful. The caricature is linked to a bitter reality and a path he has fought over many decades, linked in its entirety to what the political regimes have imposed. The front of his struggle with them and in opposition to their policies that he always sees through his drawings oppress peoples and work to subjugate them. He is subjected to harassment, as he seeks to develop in light of what modern technologies have imposed.

* **المؤلف المرسل**

Keywords: Caricature; laughter; humor; exaggeration; encrypted speech.

1. مقدمة:

يعتبر الكاريكاتور شكلا من أشكال الرسومات الهزلية الساخرة والمؤثرة التي لها جمهورها، فهو يعبر عن رأي الشعوب ومشاكلها بشكل فني يوظف تقنيات وفنيات خاصة لها بعدها الجمالي والموضوعي، وما يشد الاهتمام إليه أكثر هو بساطته وعمقه في الطرح والمعالجة. فهو حاضر في مختلف وسائل الإعلام للطلب المتزايد عليه وللوظائف الكثيرة التي يؤديها، فهو يشجع المتتبع على التفكير ويعمل على تغيير الأفكار غير الصحيحة، كما يملك القدرة على إدارة الحوار بين الأفراد.(**علم الدين، 2009، 181**).

الكاريكاتور مبني على الدقة في البناء ومحاكاة الواقع بما لا يدع مجالا للشك بأنه لسان ناطق باسم المجتمع، لذلك نجد الحكومات تضعه تحت رقابة مشددة وتفرض نوعا من التوجيه على مواضيعه المطروحة، خاصة في الدول الشمولية أو الاحتكارية، التي تدرك يقينا أنه يسري في المجتمع وعنصر مؤثر، لكنها تتعمد تهميشه والتقليل من شأنه، ما يعني أن الظرف السياسي يتحكم فيه وفي مساره والمواضيع الأكثر انتعاشا فيه هي السياسية، التي كثيرا ما كانت عقوباته وخيمة على الرسامين، فمنهم من حكم عليه بالسجن لسنوات، منهم من تم نفيه ومنهم من تمت تصفيته جسديا، وهو أمر يحيلنا إلى ثقل مسؤوليته وخطورة ممارسته.

إن مساره التاريخي كفن وخطاب مشفر حافل بالإنجازات الكبرى والانتصارات التي تترجم في تحقيق آمال وطموحات الشعوب المغلوب على أمرها، فهو في فترات التوتر والصراع تجده يبدع ويقدم خطاباته ويرفض الانصياع للأوامر والتعليمات الرامية إلى اختزاله وما ساعده أكثر هو ترحيب الشعوب به والسعي إلى نصرته والعمل على الارتقاء به، وهو ما تحقق بدليل احتلاله فضاء كبيرا في البيئة الرقمية اليوم، ولعل مسايرته لهذا التطور الهائل ساعده كثيرا وجعله يحافظ على مكانته في خضم هذا المد التقني الهائل.

إن الكاريكاتور فن له قواعده وأسسه واضحة المعالم، فهو ظاهرة سوسيو تاريخية على درجة بالغة من الأهمية لأنه يعكس وجه حضارة بالكامل، خلّف بصمة مكنت الجيل اللاحق من معرفة تفاصيل ما خلّفه الأوائل، وهذا يحيلنا إلى فكرة الاستمرارية والتواصل بين الأجيال بعيدا عن القطيعة التي كثيرا ما عرفتها المجتمعات جراء تغييب الإبداع، والرسوم الكاريكاتورية جزء من إبداع الإنسان، يشكّل في مجمله فنا وبالتالي فهو جزء لا يتجزأ من حضارة البشر، فالموجود اليوم في الصحراء الجزائرية يمثل حضارة ونمط عيش عرفه الإنسان في فترة من فترات التاريخ، وهو الآن في حاجة إلى من يتكفّل به لدراسته وفك طلاسمه، التي من شأنها مطالعتنا بحقائق ووقائع كثيرة، بمعنى أن تلك الرسومات لم توجد عبثا إنما لأسباب ودوافع فرضتها تلك الفترة، والدليل على ذلك أنها محل اهتمام بعثات أجنبية كثيرة تعنى بدراستها، محاولة الوقوف ولو على جزء بسيط من مضمونها، وعليه فغالبية الدراسات تؤرخ للكاريكاتور من منطلق ما تختزنه الصحراء الجزائرية من إرث محفوظ على جدران الكهوف والمغارات، فقد يظهر أنها صور جنسية لكنها في حقيقة الأمر تتعدى ذلك من حيث أن مضمونها يحاول من خلال ما هو جنسي الوصول إلى ما هو أبعد من ذلك، وهي نقطة ما تزال تحيّر الباحثين والدارسين لحد الساعة. هذا هو ثراء الكاريكاتور الذي لم يتوقف عن العطاء والجديد، فتقنياته مستحدثة بألوان وحيثيات جديدة وبريشة ناقدة لا تقيم اعتبارا لأي جهة مهما كان وزنها ودرجة ضغطها، فما يهمه ويعنيه مشاكل الشعوب وانشغالاتها التي يعتبرها أساسا له، فلولا الشعوب لما كان موجودا.

تجدر الإشارة، إلى أن الرسوم الشعبية كانت حاضرة ومستخدمة في العديد من الصراعات والحروب، خاصة في الثورة البورجوازية الهولندية (1566-1609) ضد الحكم الإسباني بقيادة "فيلهلم أورانيا الأول" والحرب الفلاحية الألمانية (1524-1526) وحروب الإصلاحات الدينية التي قادها "مارتن لوثر" ضد الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان والتي بدأت عام 1517. (**حمادة، 1999، 57**).ولأن الكاريكاتور يبعث على الضحك والفكاهة يبقى من الضروري الجمع بينهما، فلا يمكن لهذا الفن أن يكون جامدا وصريحا إلى الحد الذي يجعل الجمهور ينفر منه، فالمبالغة من خصائصه التي تحور الشكل العام للموضوع وتجعله محط سخرية وهزل، فهو بهذا يتخفى من وراء النكتة ليمرر رسالته وخطابه المشفر.

إن الكاريكاتور أبدع وقدم على مدار تاريخ طويل سلسلة من الرسومات التي ما تزال شاهده على نضاله ونصرته لقضايا الشعوب وما ساعده في ذلك جرأة فنانيه وقناعتهم بما يقدمونهم وثقتهم الكبيرة في التغيير الذي قد تحدثه ريشة صغيرة.ولعل ما أكسبه مكانة هو صدقه وطرحه الدقيق بأسلوب تهكمي هادف.

فالهدف، إذن هو بسط جل المعطيات المرتبطة بالكاريكاتور في علاقته بالنكتة والضحك، خاصة وأنه هو أصلا يبعث ذلك ويحفز عليه، على أن نستعرض العلاقة الموجودة بين هذا الفن المتمرد والنكتة والضحك ككل، بغرض إثراء حقل الدراسات الاتصالية وتقديم قراءة بسيطة في هذا النوع من الفنون الذي كشف عن الكثير من الجوانب.

فمحاولتنا، جاءت كإضافة للوقوف على ما هو موجود من إسهامات علمية وإثراءها بالشكل المنهجي المطلوب.

أما بالنسبة للمنهج، فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف الموضوع وتحليل مختلف جوانبه، بداية من ضبط المفاهيم إلى استجلاء مختلف المعطيات المرتبطة بالدراسة.

2. علاقة الكاريكاتور بالضحك والنكتة

1.2 مفهوم الكاريكاتور، الضحك والنكتة:

الكاريكاتور كلمة مشتقة من الفعل **caricare** بالإيطالية، والتي تحيلنا إلى الحشو والزيادة المبالغ فيها وكذا الإضافات التي تصاحب رسما ما أثناء إنتاجه، ليتم تحريف تلك الرسمة وإخراجها بشكل فكاهي مثير للضحك والسخرية، وهو ما كان ظاهرا في رسومات "دومييه" « **Daumier** » الذي يعتبر رائدا في هذا المجال. فهذا النوع من الرسومات يعني الوصف الكوميدي المضحك الذي يتناول شخصية معينة في المجتمع. (**Le petit Larousse Illustré, 2010, 172**).كما يعرف الكاريكاتور أيضا أنه تلك الرسوم الساخرة، حيث تنقسم إلى قسمين رئيسين هما: الكاريكاتور والكرتون، والفرق بين الأول والثاني واضح، يتمثل في أن الأول فن فردي يقوم على تصوير الأشخاص بشيء من المبالغة والسخرية بقصد الإضحاك والتهكم وتضمين كلام مكتوب أحيانا داخل اللوحة الكاريكاتورية، ويكون بفكرة مدروسة ومعدة من قبل بهدف التعبير عن قضية معينة، أما الكرتون فهو فن متحرك، قد يتخذ من الشخصيات الإنسانية أو الحيوانية أبطالا لقصته، وقد عرف تطورا كبيرا مع تطور التكنولوجيات وظهور برامج رسم متخصصة، فالكرتون هو مجموعة من صور متحركة تتضمن حوادث وأبطالا تأخذ شكل القصة بقوالبها الفنية المعروفة وتكون تجسيدا لأشخاص أو حيوانات أو نباتات أو غير ذلك، وهو فن موجه في الغالب إلى الأطفال، يهدف إلى ترسيخ رسائل تربوية واجتماعية مهمة.(**الشعشاع، 2011، 20**). فيما يعرف **الضحك**، بأنه شكل من أشكال

التعبير الصريح عن المرح والمتعة، فهو مهما بدا صريحا بالافتراض، فإنه يخفي فكرة خلفية تفاهمية، تواطؤية مع الضاحكين الآخرين الحقيقيين أو الخياليين، فالضحك فضول يتسلى فيه الفكر، ولأجل فهمه ينبغي وضعه في وسطه الطبيعي الذي هو المجتمع، ويجب بشكل خاص تحديد وظيفته المفيدة التي هي وظيفة اجتماعية، تقتضي التجاوب مع بعض متطلبات الحياة المشتركة.(**برغسون، 2007، 12-13**). أما النكتة فتندرج ضمن أنواع الأدب الشعبي تسرد قصة صغيرة بهدف الضحك والمرح.

2.2 النكتة ودرجة حضورها اجتماعيا:

زخر الأدب العربي بالسخرية والدعابة والضحك والفكاهة، وتناثرت الصور الساخرة والنوادر المستملحة في مراجع الأدب الكبرى، حتى جاء إمام الساخرين وشيخ المتندرين "أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" وأفرد للسخرية رسائل وكتب، فتأثر به من جاء بعده: ك "ابن قتيبة" (276هـ) و"الوشاء" (325هـ) و"ابن الجوزي" (597هـ) و"الأسعد بن مماتي" (616هـ) و"ابن عبد ربه" (328هـ) و"أبو حيان التوحيدي" (414هـ) و"النويري" (732هـ) و"أبو الحسن علي نور الدين اليشبغاوي" (878هـ) و"يوسف الشربيني" (1098هـ) وكثر المؤلفون في الأدب الساخر في العصر الحديث.

فالسخرية، عرفت تطورا ملحوظا خاصة مع تشكل الجماعات البشرية وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط (**مشتوب، 2010-2011، 06**). فهي بهذا المعنى سلاح اتخذه المبدعون لقهر واقعهم، فعملوا على تصويره وانتقاده من خلال ضحكة مغموسة بألم المعاناة والقهر فتغلغلوا في تركيبة النفس البشرية ليغرسوا فيها الضحكة بدل الدمعة، ومنه كان الأدب الساخر نبض حياة الأمم، فلا يكاد يخلو منه أدب أمة حية فهو أدب عالمي لا يقتصر على أمة دون سواها، جعل البسمة طريقه والضحكة أداته الفاعلة فعبّر بها عن كل الحالات النفسية التي تواجه الإنسان. (**الذبياني، 1431، 10**).

فالفكاهة، تعرف على أنها تلك الخاصية المتعلقة بالأفعال والكتابة والكلام...إلخ، التي تستثير المتعة والمرح والمزاح، بالإضافة إلى أنها تلك الخاصية المتعلقة بحدث أو نشاط أو موقف، أو بتعبير خاص عن فكرة والتي تستحضر الحس المضحك، أو الحس الخاص المتعلق بإدراك التناقض في المعنى، والفكاهة خاصية واقعية مضحكة ومسلية، إنها تتعلق بالملكة العقلية الخاصة بالاكتشاف والتعبير والتذوق للأمور المضحكة أو العناصر المتناقضة اللامعقولة في الأفكار والمواقف والأحداث والأفعال، فجوهرها الخيال المضحك أو تعبيراته، وهي كذلك محاولة لأن يكون المرء متفكها، وهي تتعلق كذلك بشيء معين (فعل أو قول أو كتابة) يتم تصميمه بحيث يكون مضحكا ومثيرا للبهجة. (**شاكر، 2004، 33**).

فالضحك والفكاهة مهمان في حياة الإنسان للطمأنينة والراحة النفسية التي يبعثانها داخل الفرد، خاصة بعدما أثبتت الدراسات السيكولوجية قيمتهما بالنسبة إليه وكيف يمكن لهما الانتقال به من حالة عزلة إلى أخرى اجتماعية مليئة بالحياة والاستقرار النفسي، لكن على الرغم من هذا الكم الهائل من الإيجابيات، إلا أنه لا ينبغي لهما تخطي ما هو مسموح به اجتماعيا وتجريح الأشخاص أو الإساءة إليهم، فحتى وإن كانت موضوعاتها تتمحور حول الإنسان ومحيطه، إلا أن هناك خطوطا ينبغي التوقف عندها ومراعاتها، لأن الأمر هنا يتعلق بكائن مقدس يحتاج إلى الاحترام والتعامل الجيد، فللفكاهة والضحك سلبيات وإيجابيات وقيمتهما ترتبط بالإطار المرجعي للمجتمع، ما يعني أنهما تسيران في خط واحد مع الترسانة الثقافية للمجتمع، فكل سخرية وفكاهة لا بد أن تخضع لمعطيات هذا النسق وما يقتضيه حتى لا تتسبب في إحداث صراع أو صدام ثقافي بين منتجها أو مروجيها وبين المجتمع، الذي كثيرا ما يرفض هذا النوع من الدعابة في حال ما إذا كانت تتنافى وخصوصية المجتمع، والملاحظ أن

الجيل الحالي يتداول بعض النكت التي قد تجابه بردة فعل عنيفة من طرف الجيل السابق لألفاظها البذيئة والسوقية واعتمادها في العديد من المرات على التجريح والإهانة وهو ما يعكسه الواقع.

فمع التزايد الكبير الذي تعرفه النكتة وتداولها بشكل كبير، سواء داخل الأسرة أو خارجها وهناك من الأشخاص من أصبحت جزءا من حياتهم، بدليل استحضارهم لها عند كل موقف، مما لا يسمح لمن يستمع إليهم أو يتعامل معهم بالتعرف على حالات السخرية أو الجدية لديهم وهذا مشكل في حد ذاته يقتضي المعالجة، فالضحك مفيد لنفسية الإنسان من حيث أنه يروّح عن الذات ويكسبها نوعا من النشاط والحيوية ويجعلها دائمة التفاؤل، فهو قد يأتي في مواقف ما، كالنجاح في الدراسة أو التفوق على صعيد العمل وهي كلها أمور عادية تتطلب ذلك فهي نوع من التعبير عن الفرح والسعادة، إلا أن هذا الأمر إن زادت حدته قد يصبح مرضا نفسيا وهذا هو الخطر بعينه، فهناك أشخاص يتهكمون ويضحكون لأتفه الأسباب ومع أي كان دون إقامة اعتبار لطبيعة العلاقة مع الآخر، رغم وجود ضوابط في هذا السياق، فالفرد لا يمكنه إطلاق العنان للسانه هكذا وقول أي شيء، بل ينبغي له امتلاك نوع من اللباقة في التعامل ومسايرة عقلية الآخر، فهناك مواقف تستحق استحضار النكت وأخرى تختلف عنها وينبغي للمعني أن يكون خلالها عمليا جديا، وهذا بعدما تم الوقوف على حالات مرضية لها علاقة بهذا الأمر استنادا إلى ما يعكسه الواقع، الذي يترجم وجود أفراد من هذا النوع تبين مع مضي الوقت أنهم يعانون من اضطرابات نفسية تستدعي العلاج، فهم من خلال تمريرهم وترويجهم للنكت والضحك المستمر يتخفون وراء حالة مرضية تحمل الكثير من الحزن والصراع مع مشكل ما، فهم يحاولون بهذا الشكل التستر على ما يلاحقهم وما ينتابهم من شعور وأحاسيس، ما يعني أن الضحك هنا طريقة تمويهية قد لا تعكس وبشكل صحيح حالتهم السيكولوجية، التي يطبعها القلق وما قد ينجر عنه من تبعات، هي معطيات سبق للطب النفسي أن صادفها ووقف عندها، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن كل من يضحك هو بالشكل الذي سبقت الإشارة إليه، فالشخص الطبيعي هو الذي يكون عقلانيا في كل شيء، حتى في الضحك من حيث أنه يتعلق بصورة الإنسان وتكوين فكرة عنه.

وضمن هذا السياق، قدم الفيلسوف وعالم النفس الاسكتلندي "ألكسندر بين" (1818-1903) إسهاما كبيرا في مجال علم النفس من خلال تأكيده أهمية الإرادة والانفعالات في السلوك، وقد تعامل مع موضوع الضحك تحت عناوين مثل: (انفعال القوة) وأيضا (الانفعالات الجمالية)، ووفقا لما قاله فإن أحد الأسباب الرئيسة للضحك هو ذلك الشعور بالانتصار على عدو ما أو على تحدّ معين أو مهمة شاقة ومن ذلك مثلا ما يحدث بعد فترة من النشاط الشاق والمكثف عندما يكتمل عمل المرء، فإن هذا الفرد يحتاج إلى ما يشبه خروج البخار المكتوم بداخله، عن طريق تلك الانفجارات التشنجية من الضحك، والتي هي بمنزلة تدفق واضح في الطاقة العصبية التي كانت محبوسة أو مقيدة خلال فترات التحدي أو الأعباء الشاقة السابقة على اكتمال العمل، ليكون الضحك بذلك وثيق الصلة باللذة التي يستثيرها الفوز أو النصر، كما يصبح الضحك علامة على اللذة عموما، لذلك قد يشعر الأفراد بألم شديد عندما يكونون موضوعا للسخرية أو الضحك.(**شاكر، 2003، 124**).

وفي كتابه (الضحك) أشار الفيلسوف الفرنسي "هنري برجسون" إلى وجود ثلاثة شروط تتحكم في الضحك أو تؤدي إلى حدوثه وهي:

أولا: لا مضحك إلا فيما هو إنساني، فالمنظر قد يكون جميلا، لطيفا ورائعا أو يكون تافها أو قبيحا، ولكنه لا يكون مضحكا أبدا، فإذا ضحكنا من حيوان فقد يكون ذلك لأننا وجدنا لديه وضع إنسان أو تعبيرا إنسانيا، كما قد نضحك من قبعة ولكن ما

يضحكنا فيها ليس قطعة القش المصنوعة منها، إنما الشكل الذي أوجدها به الإنسان أو طريقة صنعه لها، ما يعني أن محور الضحك دوما هو الإنسان.

ثانيا: لحدوث الضحك ينبغي الابتعاد عن الانفعال أو أي نوع آخر من العواطف، أي عدم التأثر الذي يصاحب الضحك عادة، فليس بإمكان المضحك إحداث هزته إلا إذا سقط على صفحة نفس هادئة تمام الهدوء، فاللامبالاة هي الوسط الطبيعي للضحك وألذ أعدائه الانفعال. (**Bergson, 1990, 12-13**)

ثالثا: الضحك يرتبط بمدى اندماج الفرد في مجتمعه وانصهاره ضمن الجماعة، إذ لا يمكن تذوقه ومعرفة طعمه في حال شعورنا بالعزلة، لحاجته إلى صدى أو ردة فعل، فقد تكون داخل قطار أو في مطعم ما، وتسمع الناس يتبادلون حكايات لا بد وأنها مضحكة بالنسبة إليهم ما دامت قد أضحكتهم، كما كان لك أن تضحك لو كنت منهم، وبما أنك لا تنتمي إليهم، فلن تشعر بحاجة إلى الضحك، فهو يخفي وراءه فكرة تفاهم إن لم نقل تآمر مع ضاحكين آخرين، فبعض الأمور المضحكة لا يمكن ترجمتها من لغة إلى أخرى لارتباطها بعادات وأفكار وكذا خصوصية مجتمع ما، وعليه فـ "برغسون" « Bergson » يرى ضرورة إرجاع الضحك إلى المجتمع حتى يتسنى لنا فهمه وهذا للوظيفة الاجتماعية التي يؤديها.(**Bergson, 1990, 13-14**)

فهو إذن، أداة تصحيحية خاصة بكل أنواع الانحرافات المضادة للمجتمع، يتطلب نوعا من التفاعل الاجتماعي، هدفه تصحيح عيوب أو نقائص اجتماعية ترتبط بالآلية والجمود والتصلب ونقصان المرونة والانعزال والغرور، فالضحك حسب "برغسون" هو دائما ضحك جماعة. (**شاكر، 2004، 38**). فهو قبل كل شيء تصحيح وإصلاح، فقد وضع من أجل التخجيل، لذلك يجب أن يخلّف في الشخص المضحوك منه إحساسا متعبا، فالمجتمع ينتقم عن طريق الضحك للحريات التي أخذت منه ولا يبلغ الضحك هدفه إن هو اتسم بالودّ والطيبة. (**برغسون، 2007، 127**).

فالضحك والفكاهة بهذا المعنى، من العوامل التي تضفي على حياة الناس معنى ولها علاقة بالفن في حال ما إذا صيغت بشكل جمالي راقي وأسلوب حضاري، والفن كما يذهب إلى ذلك علماء الجمال اسم يطلق على الإدراكات كلها التي بها نعي الحياة وما يكتنفها من ظروف خاصة، ثم نحيل هذه الظروف إلى شيء طريف، على النحو الذي يجعلنا نذهب مع "أرسطو" « Aristote » إلى أن الفن يمكن أن يعد سياسة لو قدّرت أهميته تقديرا سديدا، عندئذ يكون موضوعه تحديد الذات الإنسانية وتكون الحياة كلها هي مادته ومسرحه، (**شرف، 1992، 13**). فالضحك أمر مهم بالنسبة للإنسان، تنزع إليه النفس الإنسانية فتجد فيه طمأنينة وراحة وتنشرح له الصدور، فهو طبيعة بشرية تلقي على الحياة ستارا من اللاواقعية فترفع عن الإنسان هموم حياته وتدفعه للتفاؤل وللنظر بفرح إلى المستقبل.(**مُحَمَّد، 05**).

3. العناصر المشتركة بين النكتة والكاريكاتور

1.3 خصائص الكاريكاتور والنكتة:

وما دمنا قد تحدثنا عن الفكاهة والنكتة، ينبغي لنا هنا استحضار الكاريكاتور من حيث أنه نكتة مرسومة، فميزته إتقان الوخز المؤلم من خلال خطوط تسعى لتعرية وتبيان حقيقة أمر ما، ولعل من بين أهم خصائص فن الكاريكاتور:

***المبالغة والتفريد:** فهو مبالغة في التعبير من خلال الصورة عن خصائص فريدة مميزة لشخصية ما، فهناك مبالغة في تجسيد بعض الخصائص الفردية الفريدة الخاصة بشخص معين، حيث تلتصق به وتميزه عن غيره وعندما نتذكره نتذكرها، أو نتذكرها فنتذكره،

لكن معنى الكاريكاتور يتسع أحيانا، حيث لا يتعلق بالصورة الشخصية للإنسان فقط، بل يمتد به بعض الفنانين والنقاد إلى أي تعبير مسخي لبعض الأمم أو أنماط الشخصيات (البخلاء مثلا) أو لبعض الرموز السياسية، كما في حالة الفيل الذي هو رمز الحزب الجمهوري والحمار الذي هو رمز الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذا المعنى الأكثر اتساعا معنى أقل شيوعا، أما الأكثر شيوعا هو ذلك الاستخدام الذي يربط بين الكاريكاتور وبين الصور المحمّلة بالمعاني والخاصة ببعض الشخصيات، والتي تمت المبالغة في تجسيد بعض ملامحها فبدت فريدة وغريبة ومن تم مضحكة.

*__القدرة على كشف العيوب__: للكاريكاتور قدرة فريدة على كشف مزايا بعض الشخصيات، لكن اهتمامه الأكبر يكون موجّها نحو الكشف عن العيوب، إنه يلقي الضوء على الشخصية، أي على جوهرها الحقيقي، جوهرها الملتبس المراوغ أي على ما يوجد هناك خلف هذا القناع، أو التصنع، فبلمسة واحدة يمكن للكاريكاتوري أن يقدم لجماهيره جوهر شخصية ما من خلال كشفها بشكل مضحك.(**شاكر، 2004، 58–59**).

*__الفكاهة__: من أهداف الكاريكاتور الأساسية جعل المتلقي يبتسم أو يضحك ويفكّر أيضا من خلال تأمله لهذا التجسيد النقدي الساخر لبعض الشخصيات التي يعرفها وكذلك المواقف والأحداث التي يدركها في معاني أخرى للأحداث والشخصيات.

*__التبسيط__: يتم الكاريكاتور في العادة من خلال الرسم، أي من خلال استخدام قلم الرصاص أو الحبر أو الحفر أو الطباعة، فالخطوط في هذا الفن أكثر بساطة عن غيرها من أشكال تجسيد الشخصية، إنها كثيرا ما تكون أشبه بالارتجال، ومن ثم فهي قريبة من ذلك التعبير العفوي التلقائي الذي يقوم به الفنانون عموما. (**شاكر، 2004، 60**).

2.3 الخيال ومحاكاة الواقع في النكتة والكاريكاتور:

إن للكاريكاتور علاقة بالنكتة، فهي تمثل الكل، في حين يعتبر هو جزءا منها، فالنكتة قد يتم إنتاجها من طرف أشخاص عاديين يقفون عند أمر ما، فيطلقون العنان لخيالهم لنسج نوع من الدعابة والمرح حول واقع ما، كما قد تطول مدة تداولها مع إدخال بعض التعديلات عليها، في حين أن الكاريكاتور يسعى لمسايرة الواقع وتتبعه بشكل دائم ومستمر، فممارسوه ينبغي لهم أن يكونوا على درجة من الوعي والإدراك لمختلف مجريات الواقع وانتقاء الأكثر تأثيرا منها وتمريرها للجماهير في قالب فكاهي، ساخر لكنه هادف، بهذا المعنى يصبح الكاريكاتور نكتة مؤسسة ومنظمة عن طريق الصورة، لها أسبابها ودوافعها وأهدافها أيضا، فهي قد تبدو للوهلة الأولى مضحكة، إلا أنها تحمل أبعادا تفوق ذلك تتمثل أساسا في التوغل وسط الأفراد قصد تعريفهم بمعطى حاصل، فبأسلوبه الساخر يترجم معاناة المجتمع وينقل اهتماماته، التي يحتمل أن يكون صداها أوسع من قائمة طويلة من المقالات الصحفية، أما النكتة التي نعرفها جميعا فقد تتناول أي أمر سواء كان من الماضي أو من الحاضر بالكلمة، فكثيرا ما يتعذر عليها الصمود لفترة طويلة من الزمن للتحريف والتشويه الذي يطبع تفاصيلها، فكل شخص إلا وينقلها بطريقته الخاصة وهذا هو حال الكلمة في حال ما إذا قورنت بالصورة الثابتة التي تبقى كذلك ليبقى من الصعب التشويش عليها أو إضفاء تعديلات عليها، والأهم من كل ذلك سيرها في خط واحد مع مجريات الواقع.

فالكاريكاتور والنكتة يشتركان في نقاط كثيرة فيما بينهما، كلاهما يبعث على الضحك والمرح، لكن الحامل لخطاب مشفر هو الكاريكاتور ، الذي يجمع بين الضحك والمعنى لتقديم رسالة أيقونية هادفة، تعنى بانشغالات الشعوب ومعاناتها، لذلك يعتبره الكثيرون آلية قوية ومدروسة سلفا كفيلة بإحداث التغيير، فلو علمت المجتمعات قيمته التأثيرية لما فرطت فيه، وهذا على خلاف

النكتة التي يمكن أن تنتهي مدة تداولها مع الوقت، أي أنها آنية راهنة على خلاف الكاريكاتور الذي يبقى صيته منتشرا، خاصة مع القضايا السياسية والإنسانية التي كثيرا ما طرحها هذا الفن بأسلوب مثير حير العالم.

لعل أن كلا من الكاريكاتور والنكتة مضحك وهدفهما الترفيه عن النفس، إلا أن الكفة قد تجعل الكاريكاتور متفوقا لأنه يجمع بين الرسالة المشفرة وعامل الضحك، فهو الأكثر نفاذا وتأثيرا في الجمهور للقوة التي يتمتع بها في مسايرة الواقع ومجرياته وسعيه الدائم للبحث عن الجديد الذي يهم المجتمع ويتعلق بقضاياه، فهو يملك القدرة بأن يصيب ويخلف أثرا، وفي ذلك دلالة صريحة على مدى إحداثه رجع صدى وسط المجتمع على خلفية تشريحه لحيثيات مشكل ما والتعمق فيه، والمهم من كل ذلك هو ضرورة فهم واستيعاب الرسالة التي يحملها، لأنها جزء من الواقع تعريه وتترجم ما يعرفه من اضطراب أو قلاقل مختلفة، هذا هو إذن حال الكاريكاتور الذي يفصله عن النكتة مسايرته للواقع بكل ما يحمل، على خلافها التي لا تقيم اعتبارا لذلك، بل قد تعنى بقضية ما، يتم تداولها لمدة زمنية غير معلومة، ليطالها النسيان لاحقا، فالحد الفاصل بينهما هو عامل الزمن، فالكاريكاتور آني وراهن، فيما لا تعترف النكتة بذلك وقد تبقى متداولة على مدار سنوات طويلة، فحتى وإن كان إنتاجها يراعي معطيات ومتطلبات الواقع إلا أنه ليس بالشكل الذي هو عليه الكاريكاتور الذي يسير في خط واحد مع الحدث، فإغفاله له أو تأخره عنه قد يكلّفه الكثير ويصبح لذلك علاقة بمسألة الثقة، فالمتلقي تجده دائم الاطلاع عليه لمعرفة جديده وإن كان يتتبع الواقع أم هو مجرد رسم، هناك من يسيره ويتحكم فيه وهنا تظهر قيمته وفعاليته وإن كان الأفراد سيقاطعونه أم سيدعمونه في مساره.

هذا، وقد يقترب الكاريكاتور من النكتة كثيرا، لكن قيمته بغير قيمتها التي حتى وإن كانت تحمل معاني كثيرة، إلا أن تمرير كل واحد لها بطريقته الخاصة هو ما يعيبها ويشوش عليها على خلاف الكاريكاتور الذي هو صورة ثابتة لا يمكن لأي كان أن يتلاعب به أو يحوّره من دون صاحبه أو رسامه، فمنتجه يخرجه للجمهور للتعرف عليه دون إضفاءهم أي تعديل عليه سواء بالزيادة أو النقصان وهذا هو الفارق بينهما، ففي الوقت الذي يتم فيه تحريف النكتة يبقى الكاريكاتور ثابتا، ناهيك عن الخطابات التي يحملها بين ثناياه المسايرة لحركية المجتمع ومعاناته، بعدما تمكن من استيعاب مشاكل الشعوب وعبّر عنها بأسلوب فكاهي هادف، وهذا من الأسباب التي جعلت الكثيرين يلتفون حوله ويفضلونه، سيما اليوم مع الازدحام الكبير الذي تعرفه الساحة من مشاكل سواء محليا، إقليميا وحتى دوليا، ليكون بذلك ظل الحدث يتتبعه أينما كان، ينقله بموضوعية ومهنية ليترك فرصة اتخاذ القرار للمتلقي، فمهمته نقل الفكرة مع تضمينها خطابا مشفرا يبقى على المتتبع فك رموزه والوقوف على اللغز الذي يحتويه، فالفنان لا ينبغي له بأي حال من الأحوال عرض وجهة نظره في الموضوع، لأنه بقدر وجود مؤيدين للقضية، هناك من يعارضونها، وهنا تظهر احترافية الكاريكاتوري.

إن العنصر المشترك بين النكتة والرسوم الكاريكاتورية، هو ارتكازهما على عنصر التهكم باعتماد المفاجأة، فالرسم الكاريكاتوري يركّز الانتباه على صفة جسمية أو أخلاقية في الكائن المصوّر، فيبرزها ويهول فيها، كذلك تفعل النكتة عادة وإن كانت تأتي أحيانا تعقيبا مذهلا بفكرة مفاجئة تضحك، لأن المستمع لا يتوقعها ولا يظن أن الحركة والكلمة موضع التعليق يتأتى منها ذلك التعقيب المفاجئ، فالنكتة هي شيء فكاهي يقال بطريقة معينة، يشتمل على تناقضات في الأحداث وكسر للتوقعات من أجل إحداث التسلية أو إثارة الضحك وغالبا ما تكون في شكل لفظي شفهي مختصر، يتم سرده خلال تفاعل اجتماعي مرح، وأحيانا ما تكون النكت مكتوبة يقرؤها القارئ بمفرده أو مع الآخرين وغالبا ما تكون هذه النكت المكتوبة قد ظهرت أوّلا في شكل منطوق تم تداوله نقلا عن شخص ما إلى أشخاص آخرين ليتم حفظه وإثباته من خلال الكتابة. **(شاكر، 2004، 50-51)**

وهناك من الأفكار الرافضة لهذه التفرقة بين الكاريكاتور والنكتة، وتصر على وضعهما ضمن خانة واحدة، فالكاريكاتور حسب الكثيرين جزء من النكتة لأنها الكل، وهو شكل من أشكالها والشيء الذي خدمه بشكل كبير هو اعتماده على الصورة التي تلقى إقبالا كبيرا من طرف الجماهير اللذين لم تعد تستهويهم النكتة لأسباب كثيرة من جملتها أنها أصبحت قديمة وهم يبحثون عن الجديد أو البديل الذي وجدوه في هذا النوع من الفنون، فالمتعة بالنسبة إليهم تكمن في الضحك والترفيه حتى وإن لم يتمكنوا من فهم المعنى العام للخطاب المتضمن فيه.

نشير فقط إلى أن النكتة لا تتوقف عند موضوع معين ولا تخص فئة دون سواها، فهي تسير بين الناس كالعملة اليومية وهذا الانتشار هو ما أكسبها صبغة التواصل القائم بالتلاعب اللفظي والإيماءات والرموز. (**بوكفوسة، 2011/2010، 08**)

إن ما يجمع بين الكاريكاتور والنكتة هو الضحك، فالكاريكاتور في حد ذاته يضم نكتة، والمثير للاهتمام هو الحراك والوتيرة المتسارعة لنمط الحياة الذي يتحكم وبشكل كبير في هذه المسألة، فالمجتمع انتقل من مرحلة إلى أخرى، فبعد أن كان أفراده اجتماعيين واتصاليين أصبحوا شبه بعيدين عن ما يعرف باللحمة والانسجام والتمرير للآخر، مفضلين فكرة الفردانية أو العزلة الاجتماعية بدل الاتصال مع الآخر، والنكتة كما هو معروف تكون داخل الجماعة ليتم تداولها وضمان استمرارها في حال ما إذا استثنينا المكتوبة منها، فهي تولد داخل الجماعات وتنمو هناك ليتسع مداها لاحقا، لكن بحكم ما يعرفه المجتمع من تغيرات فإن ذلك كان كفيلا بالحد من شبكة العلاقات الاجتماعية، فالفرد أصبح اليوم يفضل التعامل والتفاعل مع الصورة بعدما أثبتت تفوقها في العديد من المرات ولأنها لا تكلّف صاحبها جهدا أكبر من ذلك المبذول في تتبع واستيعاب النكتة، فالكاريكاتور نكتة يبعث على الضحك ويحمل العديد من الدلالات والمعاني، أي أنه يضع متتبعه في الصورة من خلال الترفيه عنه وكذا تعريفه بما يجري حوله من أحداث وتطورات، فهو ينطوي على أمرين: الضحك والخطاب، هذا الأخير يبقى علامة استفهام فهناك من يدركه ويفك رموز الرسالة المضحكة وما وراءها وهناك من يضحك فقط لأجل الضحك، وهذه هي نقطة الحسم في هذا الفن المتخفي وراء رسائل مشفرة وخطابات قد لا يفهمها كل متابع له.

4. خاتمة:

إن الحديث عن الكاريكاتور كفن وخطاب مشفر يقتضي استحضار الضحك والنكتة لعلاقتهما الكبيرة مع بعض، فهو أصلا يهدف إلى ترجمة الواقع بأسلوب تهكمي ساخر يبعث على المتعة والتأثير، وهو سر نجاحه الذي جعل الجمهور يلتف حوله ويرحب بخطاباته المتنوعة بين ما هو سياسي، اجتماعي، ثقافي وشؤون أخرى. فبساطته جعلته يغمر المجتمع ويحظى بشعبية كبيرة بعيدا عن أي حسابات أو اعتبارات، هو فن بسيط يعتمد على المبالغة والتضخيم ليتمكن من إيصال الفكرة. إن إيصال الرسالة لا يتطلب إمكانات كبيرة ووسائل ضخمة، بل يحتاج إلى أفكار مدروسة، مثلما هو حال الفنان الكاريكاتوري الذي يملك ريشة بقوة ضاغطة يرحب بها المجتمع، لصدقها ودفاعها عن الشعوب الضعيفة. إن الكاريكاتور والنكتة يجتمعان ضمن فكرة واحدة، رغم بعض الاختلافات البسيطة بينهما، لكن تبقى النكتة والضحك طريق الكاريكاتور هذا الفن اللاذع الذي يتستر وراء الهزل ليصل إلى مبتغاه وهو نصرة قضايا الشعوب التي تلجأ إليه وترى فيه منفذا لتحريرها، بما جعله يتبنى ذلك ويرسم لنفسه طريقا أساسه مشاكل المجتمع ومثال ذلك قضايا كثيرة عبر العالم دافع عنها ووصل بها إلى المنشود وما يزال يتبع نفس النهج رغم ما يتعرض له من ضغوط، خاصة في المجتمعات العربية التي تفرض عليه قيودا وتحدد له معالم رسوماته. إنه فن متمرد لا يعترف بحدود

المواضيع ولا بالشكل العام لها، يحتك بالواقع ليزيد من حدة خطاباته المشفرة الهزلية وما يحتاجه فقط هو ثقة الشعوب وحماسها. وحتى يستمر هذا الخطاب في العمل يحتاج إلى بيئة محفزة تقدر الإبداع.

5. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

- برغسون هنري، الضحك، (لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2007).
- السيد عبد الحليم مُحَمَّد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، (ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1988).
- شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 2003).
- شاكر عبد الحميد، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، (القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2004).
- شرف عبد العزيز، أدبيات الأدب الفكاهي، (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، 1992).
- مُحَمَّد سراج الدين، النوادر والطرائف الفكاهة في الشعر العربي، (لبنان: دار الراتب الجامعية، لبنان).

- Bergson Henri, le Rire Essai sur la Signification du Comique, (Edition du Groupe, 1900).
- Le petit Larousse Illustré, (Paris: 2010).

- الأطروحات:

- الذبياني مساعد بن سعد بن ضحيان، السخرية في شعر عبد الله البردّوني، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431 هـ.
- بوكفوسة محمود، النكتة الشعبية الاجتماعية بمنطقة وهران دراسة في مضامينها وأبعادها، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في النكتة الشعبية، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010-2011.
- مشتوب سامية، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في تحليل الخطاب، تخصص اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2010-2011.